مهمَّاتٌ تربويَّة

تقديم
أناهيد بنت عيد السميري
غفر الله لها ولوالديها

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِـلْـمٌ يُـنْـتَـفَـعُ بِـهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.

- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.

- الكمال لله -عزّ وجلّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الـموفّق لما يحبّ ويرضى.

اللقاء الثلاثون

سورة الفلق - سورة الناس

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، ونسأله بمنّه وكرمه أن يجعل القرآن الكريم ربيعًا لقلوبنا، ونورًا لصدورنا، وجلاء لأحزاننا وهمومنا، اللهم آمين! نسأله بمنّه وكرمه أن يجعلنا ممن ربح عليه أعظم الأرباح، وهو -سبحانه وتعالى- قد دعانا إلى تجارة لن تبور. فمن حسن نظره وصح فهمه ما ترك هذه التجارة مع رب العالمين وقد وعد -عزَّ وجلَّ- بأنها لا تبور. هذه التجارة التي للعبد فيها أعظم الأرباح، أرباح لا خسارة فيها تجعله في أعلى ما يكون من مرتبة، حيث يكون من أهل الله، وخاصته، فنبينا -صلَّى الله عليه وسلَّم-قد أخبرنا: «إن للهِ أَهلِين من الناسِ قالوا: من هم يا رسولَ اللهِ؟ قال: أهلُ القرآنِ هم أهلُ اللهِ وخاصتُه.»[1] . فهذه النعمة العظيمة التي منّ بها رب العالمين، والتي لا زلنا نشكرها بقلوبنا وبألسنتنا وبجوارحنا، نعمة القرآن، نتلوه نرجو من الله أن يقبل تلاوتنا له، نتلوه آناء الليل وأطراف النهار، ونرجو

[1]() أخرجه ابن ماجة (215)، وأحمد (12292).

من الله أن يحفظ علنيا هذه النعمة وأن يديمها، وأن يجعلنا من الثابتين على تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، نتلوه بمتابعته، فهو إمامنا ونحن خلفه؛ يحسّن لنا الحسن ويقبّح لنا القبيح ونحن نعتقده. فكم لله علينا من منّة بهذا القرآن وبهذا النظام، وبهذا الشرع، وبهذا العلم، كم لله -عزَّ وجلَّ- علينا من منّة أن هدانا للصراط المستقيم، وهدانا لسؤاله الصراط المستقيم، وسؤاله الإعانة على الاستمرار في الصراط المستقيم، وتعليمه لنا تفاصيل الصراط المستقيم، حتى نصل في خاتمة هذا الكتاب العزيز فنجد أن رب العالمين يبين لنا الشرور التي تذهب بروح الإنسان، وتفقده التمسك بالصراط المستقيم، تفقده عقله الرزين الذي يجعله يتمسك بالصراط المستقيم.

يخبرنا -عزَّ وجلَّ- عن هذه الشرور في ختام كتابه العزيز نقرأ سورتين عظيمتين ترشدانا هذا الإرشاد وتبينان لنا الطريق، سورة الفلق وسورة الناس اجتمعتا على معنى عظيم من المعاني المتصلة بالصراط المستقيم. فنحن نرغب في الصراط المستقيم، ونتمسك به ونسأل الله الصراط المستقيم، ونطلب العون من الله على الصراط المستقيم، ونعرف تفاصيل الصراط المستقيم، كل هذا من خلال القرآن، ونتعلم

أن نستعيذ من الشرور التي تصرفنا عن الصراط المستقيم، الشرور التي تجعل العبد يختل في تفكيره فلا يتمسك بالصراط المستقيم، فكانت سورتي الفلق والناس.

قد أشار أهل العلم لهاتين السورتين، ومن ذلك كلام ابن القيم في تفسيره لهذه السور، فأشار إلى السورتين؛ الفلق والناس، قال -رحمه الله-:

"وهذه السورة مشتملة على الاستعاذة من الشر الذي هو سبب الذنوب والمعاصي كلها. وهو الشر الداخل في الإنسان، الذي هو منشأ العقوبات في الدنيا والآخرة.

ثم أشار إلى العلاقة بين سورة الفلق وسورة الناس:

فسورة الفلق: تضمنت الاستعاذة من الشر الذي هو ظلم الغير له بالسحر والحسد. وهو شر من خارج. بعض الناس يحصل لهم فتنة بتسلط الناس عليهم بالسحر والحسد وهو شر خارج، وهذا الشر له أثر على استقامة الإنسان وعلى تمسكه بالصراط المستقيم، وهذا يسمى شر من الخارج.

وسورة الناس: تضمنت الاستعاذة من الشر الذي هو سبب ظلم العبد نفسه وهو شر من داخل." الناس يفتنون عن

الصراط المستقيم بشر من الخارج وبشر من الداخل، بظلم الغير وبظلم النفس.

"فالشر الأول: الذي هو ظلم الغير، لا يدخل تحت التكليف، ولا يُطلب منه الكفّ عنه. لأنه ليس من كسبه. هو بلاء عليه.

والشر الثاني في سورة الناس: يدخل تحت التكليف، ويتعلق به النهي. فهذا شر المعائب. والأول شر المصائب، تسلط الناس مصيبة عليك، أصابتك تحتاج أن تتعامل معها بالصبر وكثرة الاستعاذة من شرهم، وبالتعامل بالطريقة الشرعية التي أمرنا بها رب العالمين، هذه مصيبة، لكن شر نفسك عيب من العيوب العظيمة التي يجب عليك معالجتها، والشر كله يرجع إلى العيوب والمصائب. ولا ثالث لهما. لو حسبنا الشرور الموجودة في الدنيا، نجدها إما شرور من داخلنا وإما شرور متسلطة علينا ولا ثالث لهما.

فسورة الفلق تتضمن الاستعاذة من شر المصيبات. وسورة الناس تتضمن الاستعاذة من شر العيوب التي أصلها كلها الوسوسة." شيء خطير نواجهه في الحياة ويفتننا عن الصراط المستقيم، الوسوسة.

نبدأ مستعينين بالله ونقرأ ما يتيسر لنا من بيان هذه السورة، متوكلين على الله أن تكون خاتمة حسنة ننطلق بها في حياتنا بحيث تكون نبراسًا لنا في معالجة نفوسنا من وساوسها ومعائبها.

(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلَٰهِ النَّاسِ (3) مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (4) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (5) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ)

هذه السورة العظيمة المعروفة عند المسلمين حفظًا وتلاوة واعتقادًا، بفضل الله، فيها من المعاني العظيمة في اعتقادنا وسلوكنا ما يوجب علينا أن نراجعها دائمًا، نراجع معانيها، خصوصًا أنها ابتدأت بقوله تعالى: (قُلْ) و(قُلْ) في القرآن لا بد أن يكون ورائها أمر عظيم في عقيدتك، أمر عظيم في حياتك وسلوكك. قل يا رسول الله، وقل أيها المؤمن هذا القول العظيم، (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلَٰهِ النَّاسِ) هذه السورة مشتملة على الاستعانة برب الناس ومالكهم وإلههم من الشيطان الذي هو أصل الشرور كلها، ومادتها، وهو الذي ابتدأ أبانا آدم بالشر والاعتداء، فهو يوسوس في صدور الناس، كما حصل مع آدم -عليه السلام-،

يحسّن له الشر ويجعله في صورة حسنة، وينشط إرادته لفعل الشر، ويعده ويمنيه، ويقبّح له الخير ويثبطه عنه، ويجعله في صورة غير صورته الحقيقية، وهذه حالة دائمة لا ينفك عنها، لكن رب العالمين دلّنا كيف يخرج الإنسان منها، دلّنا أن ذكر الله يجعله يخنس. فنرى هذا المعنى كما يصفه ابن القيم -رحمه الله- في بيانه لشيء من تفاصيل هذه السورة، يقول:

"وأما سورة الناس: فقد تضمنت أيضًا استعاذة، ومستعاذًا به، ومستعاذًا منه. فالاستعاذة تقدمت. وأشار إلى معنى الاستعاذة في سورة الفلق، ومعنى الاستعاذة باختصار يظهر عندما نفهم الخوف من العدو، فأنت يجب أن تتصور ثلاثة أمور:

- نفس فعل الاستعاذة.
- والمستعاذ به.
- والمستعاذ منه.

أنت خائف وتريد أن تلجأ إلى أحد يدفع عنك الشر، والشر هو المستعاذ منه، الذي تخاف منه، من هو الذي تستعيذ به؟ هنا الناس مختلفون، الشر أنواع من الشرور وبالنسبة لنا هنا شر هذه الوساوس التي يلقيها الشيطان. لا يستطيع الإنسان

أن يفهم معنى (أَعُوذُ) إلا عندما يكون في حالة من الخوف ويتصور الخوف، كيف يلتجئ ويعتصم ويحترز ويهرب، وهذه كلها معاني لحال المستعيذ.

وأما المستعاذ به: الذي يستحق أن نستعيذ به، فهو الله (بِرَبِّ النّاسِ. مَلِكِ النّاسِ. إلهِ النّاسِ) سبحانه وتعالى.

فذكر ربوبيته للناس، وملكه إياهم، وإلهيته لهم، ولا بد من مناسبة في ذكر ذلك في الاستعاذة من الشيطان، كما تقدم." لا بد من مناسبة بين اسم الرب والملك والإله، وبين الشيء الذي نخاف منه، ونستعيذ منه.

"فذكر أولًا معنى هذه الإضافات الثلاث، ثم وجه مناسبتها لهذه الاستعاذة، فنقول:

الإضافة الأولى: إضافة الربوبية المتضمنة لحقهم وتدبيرهم، وتربيتهم، وإصلاحهم، وجلب مصالحهم، وما يحتاجون إليه، ودفع الشر عنهم، وحفظهم مما يفسدهم. هذا معنى ربوبيته -عزَّ وجلَّ- لهم. وذلك يتضمن قدرته التامة. ورحمته الواسعة، وإحسانه -عزَّ وجلَّ- وعلمه بتفاصيل أحوالهم، وإجابة دعواتهم، وكشف كرباتهم." نحن نستعيذ برب الناس لأننا نعرف معنى ربوبيته، وكيف أنه مدبرنا،

كيف أنه هو الذي يربينا، كيف أنه هو الذي يجلب لنا مصالحنا، كيف أنه هو الذي يدفع عنا الشرور، كيف أنه هو الذي يحفظنا، عز وجل. ونعرف أن ربنا الذي فعل لنا هذا كله -سبحانه وتعالى- أفعاله تدل على قدرته التامة ورحمته الواسعة وإحسانه، أفعاله في تربيتنا تعلمنا أنه يعلم تفاصيل أحوالنا، أفعاله -سبحانه وتعالى- نرى فيها آثار إجابة دعواتنا وكشف كرباتنا. فهو ربنا -سبحانه وتعالى- الرب العظيم الذي ربانا بنعمه، ما بنا من نعمة فهي من الله، ما بي وما بأحد من الخلق من نعمة فهي من الله، رب العالمين الذي رباهم بنعمه.

نأتي إلى "الإضافة الثانية: (رَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ)، إضافة الملك: فهو ملكهم المتصرف فيهم: وهم عبيده ومماليكه، وهو المتصرف لهم المدبر لهم كما يشاء، النافذ القدرة فيهم، الذي له السلطان التام عليهم، فهو ملكهم الحق: الإنسان يقول: أنا أعوذ بربي الذي رباني وربى الناس جميعًا، وأعوذ بالملك الذي يتصرف بي ويتصرف بجميع المخلوقات، والملك الذي يملكني ويملك جميع المخلوقات إليه مفزعي، الذي إليه مفزعهم عند الشدائد والنوائب، وهو مستغاثهم ومعاذهم وملجأهم. فلا صلاح لهم ولا قيام إلا به

وبتدبيره فليس لهم ملك غيره يهربون إليه إذا دهمهم العدو، ويستصرخون به إذا نزل العدو بساحتهم. ما لنا معاذ إلا الملك العظيم -سبحانه وتعالى- فهو الملك المتصرف ونحن عبيده ومماليكه وهو مفزعنا عند الشدائد والنوائب، به نستغيث وعليه نتوكل وله نرجو وما لنا إلا هو، سبحانه وتعالى.

إذًا هو ربنا ورب كل شيء، متصرف فينا ومالك كل شيء ومفزعنا. الإضافة الثالثة: إضافة الإلهية. فهو إلههم الحق، ومعبودهم الذي لا إله لهم سواه ولا معبود لهم غيره. فكما أنه وحده هو ربهم ومليكهم لم يشركه في ربوبيته ولا في ملكه أحد، لم يشارك رب العالمين أحد لا في الربوبية ولا في الملك، فكذلك هو وحده إلههم ومعبودهم. فلا ينبغي أن يجعلوا معه شريكا في إلهيته، كما لا شريك معه في ربوبيته وملكه."

ولو نظرنا إلى (إِلَٰهِ النَّاسِ) هذه الإضافة نجد أنها تكمل المعنيين الأولين، فأنا أعوذ وألتجئ بربي الذي رباني ودبرني، والملك الذي أنا أمة له ويقلبني ويصرفني وإليه مفزعي، وإلهي الذي أحبه وأعظمه وأفزع إليه وأنا مطمئنة،

فهو الرب الذي ربانا والملك الذي يدبرنا والإله الذي نحبه ونعظمه.

"وهذه طريقة القرآن يحتج عليهم بإقرارهم بهذا التوحيد على ما أنكروه من توحيد الإلهية والعبادة.

وإذا كان وحده هو ربنا وملكنا وإلهنا، فلا مفزع لنا في الشدائد سواه.

ولا ملجأ لنا منه إلا إليه. ولا معبود لنا غيره. فلا ينبغي أن يدعى ولا يخاف ولا يرجى، ولا يحب سواه، ولا يذلّ لغيره، ولا يخضع لسواه، ولا يتوكّل إلا عليه؛ لأن من ترجوه وتخافه وتدعوه وتتوكل عليه: إما أن يكون مربّيك والقيم بأمورك، ومتولي شأنك وهو ربك، فلا رب سواه.

أو تكون مملوكه وعبده الحق، فهو ملك الناس حقًا، وكلهم عبيده ومماليكه.

أو يكون معبودك وإلهك الذي لا تستغني عنه طرفة عين، بل حاجتك إليه أعظم من حاجتك إلى حياتك وروحك، وهو الإله الحق إله الناس الذي لا إله لهم سواه.

فمن كان ربهم وملكهم وإلههم فهم جديرون أن لا يستعيذوا بغيره، ولا يستنصروا بسواه ولا يلجئوا إلى غير حماه، فهو

كافيهم وحسبهم وناصرهم ووليهم، ومتولي أمورهم جميعًا بربوبيته وملكه وإلهيته لهم، فكيف لا يلتجئ العبد عند النوازل ونزول عدوه به إلى ربه ومالكه وإلهه؟ تريد أن تلجأ لمن إذا ما لجأت إلى الرب الذي يربيك والملك الذي يملكك ويملك جميع العباد، والإله الذي تحبه ولا تستطيع أن تستغني عنه طرفة عين.

فظهرت مناسبة هذه الإضافات الثلاث للاستعاذة: من أعدى الأعداء وأعظمهم عداوة، وأشدهم ضررًا، وأبلغهم كيدًا. الشيطان الذي يريد أن يفتن الإنسان كما فتن أبانا الأول. ثم يشير ابن القيم إلى ملحظ آخر هنا وهو: ثم إنه سبحانه كرر الاسم الظاهر، ولم يوقع المضر موقعه. ما قال رب الناس وملكهم وإلههم، فكرر الاسم الظاهر مع أنه كان يمكن أن يضمر، لكن رب العالمين قال (رَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلَٰهِ النَّاسِ) فيقول:

رب الناس وملكهم وإلههم: تحقيقًا لهذا المعنى، وتقوية له."

فكأنك في كل مرة تقول: ربي ورب الناس كلهم، رباني وربى الناس كلهم، دبرني ودبر الناس كلهم، ودبر شأنهم ويسر أمرهم وهو ملك يملكني وأنا أمته وكل هؤلاء الناس

عبيد له. وهو إلهي -سبحانه وتعالى- وهو الإله الحق لكل من طلب الحق. هنا ظهر لماذا أتت بالاسم الظاهر، "فأعاد ذكرهم عند كل اسم من أسمائه، ولم يعطف بالواو لما فيها من الإيذان بالمغايرة. كأن كل جملة مبتدأ وحده ﴿رَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلَٰهِ النَّاسِ﴾

والمقصود: الاستعاذة بمجموع هذه الصفات، حتى كأنها صفة واحدة. أنا أستعيذ برب الناس، الذي هو ملك الناس، الذي هو إله الناس.

لماذا ﴿رَبِّ النَّاسِ﴾ أولًا؟ وقدم الربوبية لعمومها وشمولها لكل مربوب. لا شيء مربوب إلا الله ربه. لماذا أخر الألوهية؟

وأخر الإلهية لخصوصها ربنا رب الناس جميعًا، لكن ليس كل الناس اتخذوا الله إلها؛ لأنه سبحانه إنما هو إله من عبده ووحده واتخذه دون غيره إلها. فمن لم يعبده ويوحده فليس بإلهه. وإن كان في الحقيقة لا إله له سواه، ولكن المشرك ترك إلهه الحق واتخذ إلهًا غيره باطلًا.

لماذا وسط صفة الملك بين الربوبية والإلهية؟ ووسّط صفة الملك بين الربوبية والإلهية لأن الملك هو المتصرف بقوله

وأمره. فهو المطاع إذا أمر. وملكه لهم تابع لخلقه إياهم. لما خلقهم وهو ربهم، ملكهم وهو الملك، سبحانه وتعالى. فملكه من كمال ربوبيته. وكونه إلههم الحق من كمال ملكه. هو الذي يملكهم فلا بد أن يكون إلههم؛ لذلك أتت في الوسط، الملك يترتب على الربوبية، ومن آثار الملك أن يتخذ الإنسان الله إلهه، لذلك أتت في الوسط، فربوبيته تستلزم ملكه وتقتضيه.

وملكه يستلزم إلهيته: يقتضيها، فهو الرب الحق، الملك الحق، الإله الحق، خلقهم بربوبيته وقهرهم بملكه. واستعبدهم بإلهيته.

فتأمل هذه الجلالة، وهذه العظمة، التي تضمنتها هذه الألفاظ الثلاثة على أبدع نظام، وأحسن سياق «رب الناس، ملك الناس، إله الناس». ثم أشار إلى معاني لهذه الأسماء يمكن العودة لقراءتها وفهمها، وهي واضحة والحمد لله. نستعيذ بربنا وإلهنا ومالكنا، من شر الوسواس الخناس.

إذا عُرف هذا، فالوسواس: فعلال من وسوس.

وأصل الوسوسة: الحركة أو الصوت الخفي الذي لا يحس، فيحترز منه. ما معنى الوسواس في المعنى الاصطلاحي؟

فالوسواس: الإلقاء الخفي في النفس، إما بصوت خفي لا يسمعه إلا من ألقي إليه، وإما بغير صوت، كما يسوس الشيطان إلى العبد. هذه الكلمة أتت من وسوسة الحلي وهي حركتها الخفية في الأذن.

ومن هذا: وسوسة الحلي وهو حركته الخفية في الأذن.

والظاهر -والله أعلم- أنها سميت وسوسة لقربها، وشدة مجاورتها لمحل الوسوسة من شياطين الإنس. وهو الأذن. فقيل: وسوسة الحلي. شياطين الإنسان يأتون عند أذنك ويكلمونك، ووسوسة الحلي أقرب ما تكون للأذن، صوت مجاور للأذن.

لأنه صوت مجاور للأذن، كوسوسة الكلام الذي يلقيه الشيطان في أذن من يوسوس له.

ولما كانت الوسوسة كلامًا يكرره الموسوس، الذي يلقي الوسوسة، يكرر لفظه من أجل أن يتكرر المعنى؛ لذلك تلحظ هذه الكلمة في لغة العرب، الواو مكررة والسين مكررة، ويؤكده عند من يلقيه إليه كرروا لفظها بإزاء تكرير معناها. فقالوا: وسوس وسوسة. فراعوا تكرير اللفظ ليفهم منه تكرير مسماه. وهنا إشارة لهذا المعنى. فهمنا كلمة وسواس، هذا

الشيطان عندما يوسوس، يكرر ماذا علينا، يكرر علينا ما كرره على أبينا الأول. ماذا ألقى على أبينا الأول؟ ألقى عليه الطمع، فطمّعه وحسن له أمورًا نُهي عنها، وقبح له أمورًا أُمر بها. فهو يأتي إلى طبع الإنسان في حبه للشهوات ويكرر عليه الدعوة إليها وتحسينها وتزيينها، أن تصرفه ليس خاطئًا. لذلك كثير من الناس يقولون: "أشعر أنه ليس خطأ"، وأنت تنظر لمثل هذا الأمر وترى كيف يخدع الشيطان الناس في أحاسيسهم.

ورد في النص كما ذكر ابن القيم في آخر هذه الصفحة، قال:

[فَصْلٌ: فِيما يَقُولُهُ ويَفْعَلُهُ مَنِ ابْتُلِيَ بِالوَسْواسِ، وما يَسْتَعِينُ بِهِ عَلى الوَسْوَسَةِ]

رَوى صالِحُ بْنُ كَيْسانَ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ يَرْفَعُهُ إلى النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-وهذا الحديث يساعدنا كثيرًا على تصور ما يحصل في نفوسنا، وكيف أن الشيطان الرجيم يعادينا على الصراط المستقيم، وينازعنا فيه، في حديث ابن مسعود يرفعه: «إنَّ لِلْمَلَكِ المُوَكَّلِ بِقَلْبِ ابْنِ آدَمَ لَمَّةً، ولِلشَّيْطانِ لَمَّةً، يل بالإنسان،

يعني يلقي في قلب الإنسان، الملك له لمة والشيطان له لمة، فَلَمَّةُ المَلَكِ إيعادٌ بِالخَيْرِ وتَصْدِيقٌ بِالحَقِّ ورَجاءُ صالِحِ ثَوابِهِ، ولَمَّةُ الشَّيْطانِ إيعادٌ بِالشَّرِّ وتَكْذِيبٌ بِالحَقِّ وقُنُوطٌ مِنَ الخَيْرِ، فَإذا وجَدْتُمْ لَمَّةَ المَلَكِ، فاحْمَدُوا اللَّهَ وسَلُوهُ مِن فَضْلِهِ، وإذا وجَدْتُمْ لَمَّةَ الشَّيْطانِ فاسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ فاسْتَغْفِرُوهُ».

بهذا الكلام الذي نقله لنا ابن مسعود مرفوعًا إلى النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- نتصور الطريقة التي بها ينفلت الإنسان عن الصراط المستقيم، أو يتمسك بالصراط المستقيم. الطريقة أن يتكرر كلام عليك فعليك أن تختبره، إذا وجدته من هذا الصنف فاعلم أنه من الملك فاتبعه، وإذا وجدته من هذا الصنف فاعلم أنه من الشيطان اتركه، بهذا تستقيم على الصراط المستقيم، لمة الملك ما دلالاتها وإشاراتها؟ «إيعادٌ بِالخَيْرِ وتَصْدِيقٌ بِالحَقِّ ورَجاءُ صالِحِ ثَوابِهِ» ثلاثة أمور في غاية الأهمية كلها متصلة بالغيب.

الأمر الأول: "إيعادٌ بِالخَيْرِ"، كأن هذا الكلام الذي تسمعه يُبقي ظنك حسنًا بالله، واعلم أن الإقبال عليه والصبر على أي مشاق لأجل الأقبال عليه، ورائه خير عظيم "إيعادٌ بِالخَيْرِ". لو بقيت على الصراط المستقيم، لو بقيت على هذه الأعمال

التي كنت تعملها في رمضان ستجد خيرًا كثيرًا، الأيام ما أسرعها، الأيام مستودع عملك، هذه الأعمال ترفع، الأيام إذا ذهبت لن تعود، الأعمال التي تعملها في هذا اليوم يختم عليها ولا تفك إلا يوم القيامة، استفد من وقتك، انتفع بحياتك، أقبل على ربك، سبح تسبيحة، كبر تكبيرة، هلل تهليلة، ستجد خيرًا كثيرًا، "إيعادٌ بِالخَيْرِ" سيكون خيرًا لك. ويقابلها أمر آخر الأمر الثاني: "وتَصْدِيقٌ بِالحَقِّ" الذي جاء به رسولنا الكريم، الحق الذي تلاه علينا في القرآن العظيم، فالملك يذكرك بهذا الحق ويلقي في فؤادك شيئًا من هذا الحق ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾[2].

يلقي في قلبك أن تصدق، فستجد من الله العوض، مضاعفة الأجر وتفريج الكرب، وإصلاح الحال.

"وتَصْدِيقٌ بِالحَقِّ" يلقي في قلبك أن صدّق هذه الأخبار، صدق أن ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ صدّق أن الله مع الصابرين، صدّق كل ما جاءك في هذا الكتاب العظيم، صدّق أن غدًا الناس يفترقون، صدّق أن غدًا الناس سيكونون في ظلمة ونور، وأن هذا الطريق الذي تسير فيه ستكسب من ورائه النور.

([2]) الطلاق: 2.

الأمر الثالث: "ورَجاءُ صالِحِ ثَوابِهِ"، يتصور الإنسان أن الملك يلقي في قلبه كيف يفكر في ثواب هذه الصدقة، يتذكر أن الرسول -صلَّى الله عليه وسلَّم-قد أخبره أن «الرَّجلُ في ظلِّ صدقتِه حتَّى يُقضَى بين النَّاسِ»[3]، وأن «الصَّدقةُ بُرهانٌ»[4] وهكذا. "إيعادٌ بِالخَيْرِ وتَصْدِيقٌ بِالحَقِّ ورَجاءُ صالِحِ ثَوابِهِ" وهذا يذكرنا بسورة الليل التي فيها إشارة كيف تنكشف عند الظلمة، في سورة الليل قال تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ (4) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ فلمة الملك تساعدك على أن تيسر لليسرى؛ "إيعادٌ بِالخَيْرِ وتَصْدِيقٌ بِالحَقِّ ورَجاءُ صالِحِ ثَوابِهِ" أعطى واتقى وصدق بالحسنة، سبحان الله! ويقابلها لمة الشيطان: إيعاد بالشر، تكذيب بالحق وقنوط من الخير. إذا أردت أن تعطي يبخّلك، يقول: "ما الذي يتبقى لك، والشريعة ما أمرتك أن تصرف مالك كله في الصدقات، هذا أبو بكر الصديق ومن أراد أن يسير في سيره، هذا شأن آخر، لكن الشريعة أمرت ألا تتعدى الثلث، أما إذا قوي الإيمان فهذا شأن آخر. "

---

[3] () أخرجه أحمد (17371).

[4] () مجمع الزوائد للهيثمي 10/239.

الشيطان يشعرك أن الريال الواحد الذي ستخرجه ستنهار ميزانيتك بسببه. لذلك في سورة الليل قال تعالى: (وَأَمَّا مَن بَخِلَ) فهو يعد بالشر، "لو قمت تصلي ستؤلمك أقدامك، ظهرك سيحصل له كذا، نومك سيحصل كذا. إذا أحسنت للناس هاجموك، وإذا قلت كلامًا طيبًا ظنوا أنك ضعيف، إذا سامحتهم ظنوا أن ليس لك شخصية!" إلى آخره. يجعل تمسكك بالصراط المستقيم سبب شر وضر عليك. قد يقال: "أنا جربت أن أقول للناس كلامًا طيبًا فاستهزؤوا بي، أو سامحتهم وفعلوا كذا"، نقول إذا فعلت ما يجب أن تفعله بفقه شرعي، ووجدت خلاف ما تنتظر من الخير فاعلم أنه ابتلاء، والملك يعينك، لا زال للملك لمة أن يعدك بالخير؛ هذا خير وهذا ابتلاء وغدًا سيحصل ويأتيك الخير.

لكن لمة الشيطان "إيعادٌ بِالشَّرِّ وتَكْذِيبٌ بِالحَقِّ" نعوذ بالله! لذلك (وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ) يلقي عليك ما يجعلك تغفل عن الدار الآخرة، يأتي من يكلمك عن الأجور فتكون في قنوط من الخير. هذا مسلك الشيطان، عندما تجد نفسك ضعيفًا في حسن ظنك بالله، ضعيفًا في يقينك بالآخرة وما فيها من عوض لأهل الإيمان، عندما تجد نفسك قريبًا من القنوط واليأس من إصلاح نفسك ومن إصلاح مجتمعك، ومن ثباتك

على الأمر، فتصلي في هذه الأيام الفاضلة فتقول لنفسك غدًا يأتي شوال وتأتي الأيام الباقية وتصبح حالتك حالة!" لا تقنط من الخير، اسال الله أن يثبتك ويرزقك قراءة القرآن والقيام به، كن حسن الظن بالله.

السائر على الصراط المستقيم يعرف الفرق بين هذه اللمة وهذه اللمة. معنى هذا أن هذا العدو يعرف ضعفك، وقد ورد في الحديث، أنه لما خلق الله آدم وهو في حالة الصلصال ولم تنفخ فيه الروح بعد، أخذ إبليس يطيف به، يعني يطوف حول آدم. لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء أن يتركه، فجعل إبليس يطيف به وينظر ما هو، فلما رآه أجوف عرف أنه خلق خلقًا لا يتمالك، ومن ثم عرف أنه يستطيع أن يدخل داخلك ويوسوس لك، ومن ثم عرف أن عندك نقاط ضعف، أجوف، صاحب جوف، عندك بطن خالٍ من الداخل، تريد أن تملأها، وأنت مشغول بها. ففهم إبليس أن هذا الإنسان خلق لا يتمالك، لا يتقوى بعضه ببعض، لا قوة له ولا ثبات، يتزلزل وتتغير حالته، إذا جاءه أي شيء يمكن أن يقلب حالته، فهو لا يتمالك في كف نفسه عن الشهوات، وفي دفع الوساوس وفي الغضب؛ لأن هذا الجوف يقلبه ويذهب به هنا وهناك. فهو مفتقر إلى الغذاء، لا يصبر عليه، مفتقر لشهوة الفرج لا

يصبر عليها، فعرف إبليس أنه يمكن أن ينفث في هذه الفراغات، فيهيج الانفعالات والغرائز فيغويه، ويلقي عليه هذه الوساوس.

لذا عندما يفهم الإنسان عداوة الشيطان ويفهم المداخل يشعر بحاجته الشديدة إلى الاستعاذة (أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلَٰهِ النَّاسِ) الذي صفته أنه خناس، وهي صفة مهمة جدًا بمعنى أنه يخنس متى ما ذكر الله. هذا الشيطان يريد من الإنسان الانحراف عن الصراط المستقيم، يحسن له الشر ويريه إياه في صورة حسنة، وينشطه لفعل الشر، ويقبح له الخير ودائمًا هذه حالته، لكنه يخنس ويتأخر إذا ذكر العبد ربه واستعان على دفعه؛ لذلك يجب علينا أن نكثر من الاستعاذة والاعتصام بربنا، ملكنا، إلهنا، نعتصم به -سبحانه وتعالى- من شر هذا الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس.

يقول ابن القيم في هذه الآية:

"وقوله: (الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النّاسِ) صفة ثالثة للشيطان. هو وسواس وخناس ويوسوس في صدور الناس.

فذكر وسوسته أولًا. ثم ذكر محلها ثانيًا، وأنها في صدور الناس ثالثًا.

وقد جعل الله للشيطان دخولًا في جوف العبد ونفوذًا إلى قلبه وصدره.

فهو يجري منه مجرى الدم. وقد وكل بالعبد فلا يفارقه إلى الممات." كما أنه وكل له ملك، ولا ننسى هذا. ذكر ابن القيم صور من وسوسة الشيطان للإنسان، سنختار إحدى الصور:

"ومن وسوسته أيضًا: أن يشغل القلب بحديثه حتى ينسيه ما يريد أن يفعله. ولهذا يضاف النسيان إليه إضافته إلى سببه. قال تعالى: حكاية عن صاحب موسى إنه قال: (فَإِنِّي نَسِيتُ الحُوتَ وما أنْسانِيهُ إلّا الشَّيْطانُ أنْ أذْكُرَهُ). هنا يظهر أن النسيان أتى من الشيطان، فصاحب موسى يقول: "نسيت الحوت لكن من أنساني إياه؟ الشيطان." بمعنى أنه يمكن إضافة النسيان إلى الشيطان من باب السبب، لذلك الاستعاذة من الشيطان صلاح لحياة الإنسان، صلاح لمزاج الإنسان، صلاح لمصالح الإنسان وتحقيقها؛ لأنه ينسيك ما تريد أن تفعل، يريد أن يضيعك، أن يشوشك، أن يجعلك خبلًا متخبلًا، يشغل القلب بحديثه حتى ينسيه، يأتي له بكلام وأشياء من

الماضي وأشياء من المستقبل يتأملها فتجد الإنسان يسير كأنه ضائع.

وتأمل حكمة القرآن وجلالته كيف أوقع الاستعاذة من شر الشيطان الموصوف بأنه «الوسواس الخناس، الذي يوسوس في صدور الناس» ولم يقل: من شر وسوسته: لتعم الاستعاذة شره جميعه. معنى ذلك أنك تستعيذ من الشيطان جملة وتفصيلًا، (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلَٰهِ النَّاسِ (3) مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ) من شره، الذي هذا فعله؛ أنه يوسوس، فإن قوله: مِن شَرِّ الوَسْواسِ يعم كل شره. ووصفه بأعظم صفاته وأشدها شرًا، وأقواها تأثيرًا وأعمها فسادًا. وهي الوسوسة التي هي مبادئ الإرادة. هذه القضية أن الوسواس تبدأ من عنده إرادة الإنسان، فإن القلب يكون فارغًا من الشر والمعصية فيوسوس إليه، ويخطر الذنب بباله، فيصوره لنفسه ويمنيه، ويشهيه، فيصير شهوة، ويزينها له ويحسنها، ويخيلها له في خياله، حتى تميل نفسه إليه فيصير إرادة.

ثم لا يزال يمثل له ويخيل ويمنى ويشهى وينسى علمه بضررها، ينسي الإنسان الضرر الخطير، ويطوى عنه سوء

عاقبتها. فيحول بينه وبين مطالعته، فلا يرى إلا صورة المعصية والتذاذه بها فقط. وينسى ما وراء ذلك. فتصير الإرادة عزيمة جازمة. فيشتد الحرص عليها من القلب. فيبعث الجنود في الطلب. الإنسان يبعث جنوده؛ عيونه، يده، قدمه، فيبعث الشيطان معهم مددًا لهم وعونًا. فإذا عينه فترت أو يده قلت أو قدمه كسلت، فإن فتروا حرّكهم. وإن ونوا أزعجهم. الشيطان يرسل مع جوارح هذا الإنسان ما يحركه، كما قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنّا أَرْسَلْنا الشَّياطِينَ عَلى الكافِرِينَ تَؤُزُّهم أزًّا) أي تزعجهم إلى المعاصي إزعاجًا.

كلما فتروا أو ونوا أزعجتهم الشياطين وأزّتهم وأثارتهم. فلا تزال بالعبد تقوده إلى الذنب، وتنظم شمل الاجتماع بألطف حيلة وأتم مكيدة. حتى تجتمع مع المعصية ومع الذنب، وقد رضي لنفسه بالقيادة لفجرة بني آدم. وهو الذي استكبر وأبى أن يسجد لأبيهم. معنى ذلك أنه لا يتسلط إلا على من أعطاه قياده.

فأصل كل معصية وبلاء: إنما هو الوسوسة. فلهذا وصفه بها لتكون الاستعاذة من شرها أهم من كل مستعاذ منه. وإلا فشره بغير الوسوسة حاصل أيضًا." وأشار بعد ذلك إلى

شيء من شروره مثل أنه يبول في أذن العبد حين ينام إلى الصبح، ومن شره أنه قاعد لابن آدم في طرق الخير، إلى آخر ما ذكر في كلامه الذي يستحق القراءة. يريد أن يقول إن أعظم شر من شره هو الوسوسة.

ثم تأتي الآية الأخيرة ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ "والمعنى: يوسوس في صدور الناس الذين هم من الجن والإنس، أي الموسوس في صدورهم قسمان: إنس وجن. فالوسواس يوسوس للجني، كما يوسوس للإنسي." هذا من المعاني التي يفهم منها أن الصنفين المكلفين ابتلوا بالوسواس. وقد ذكر في خلال كلامه القولين اللذين ذكرهما أهل العلم في ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (4) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (5) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾، ورجح هذا القول؛ أن يكون ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ بيان للذي يوسوس، وأنهم نوعان، جني وإنسي، فالجني يوسوس في صدور الإنس، والإنسي أيضًا يوسوس في صدور الإنس. عنده قولان:

- أن يكون الشيطان يوسوس في صدور الناس ويكون الناس المقصود بهم من الجن والإنس، هذا قول. والقول الأول يدل على أن الثقلين ابتلوا بالوسواس.

- قول آخر (مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ) بيان للذي يوسوس وأنهم نوعان؛ الجني يوسوس في صدور الإنس والإنسي أيضًا يوسوس لك، وعلى ذلك نحن نستعيذ من شر الوسواس سواء كان مباشرة من الشيطان للإنسان، أو بواسطة إنسان آخر.

أمر مهم يحتاج إلى عناية أكثر واهتمام وقراءة ودراسة لأن هذا الصراط المستقيم الذي به نجاتنا، يهدده هذا الشر العظيم الذي يجب أن نستعيذ منه لأجل أن نبقى مستقيمين على الطريق لكي نحافظ على ما رزقنا الله من صلاح وفلاح، نسأل الله أن يقبل منا أعمالنا، علينا أن نكثر من طلب العون من الله، كما سمعنا في سورة الفاتحة، وأن نستعيذ بالله (مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (4) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (5) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ). نسأل الله بمنّه وكرمنه أن يتقبل منا الساعات التي قضيناها مع كتابه تلاوة وفهما ودراسة، ونسأله بمنّه وكرمه أن يجعلنا سائرين على الصراط المستقيم إلى أن نلقاه -سبحانه وتعالى- سالمين، ونشرب من حوض نبينا غانمين!

اللهم إن كان في سابق علمك أن تجمعنا في رمضان القادم فبارك لنا فيه، واجعل الأيام التي تمضي لتجمعنا به أيام

زيادة إيمان، حتى نلقى رمضان القادم ونحن في زيادة إيمان، وإن قضيت بقطع آجالنا وما يحول بيننا وبينه فأحسن الخلافة على باقينا وأوسع الرحمة على ماضينا، وعمنا جميعا برحمتك ورضوانك يا أرحم الراحمين! والحمد لله رب العالمين.

السلام عليكم ورحمة الله